معرض "حوار القامات" لمارون الحكيم : فنان خارج التصنيف

على عادته يطل الرسام والنحات في فاصلٍ زمني لسنتين أو أكثر، درج عليه في تكرار جمالي يتبعه في معارض عدة ويراكم أعماله الجديدة في محترفه مدخلاً للجديد، إلى القديم الذي يراكمه في محاكاة وحوارات جمالية، تتمتع بأهمية وتأخذ من جراء ذلك طابع الحدث الفني.

مارون الحكيم من اركان الفن التشكيلي اللبناني الحديث والمعاصر، يملك قدرات تعبيرية هائلة، في الرسم والنحت، حولت منزله إلى متحف حيّ، يتكامل فيه المعنى الفيزيائي والمعنى الجمالي، في مزيج مبتكر يولدُ دائمًا كائنات جديدة.

بين 2016 و2018 نفّذ مارون الحكيم منحوتات خشبية توحدت مع شرائح الحديد وقضبانه التي التفت على ذاتها وعانقت الخشب من الخارج، هيكلاً لجسم واحد يجمع الصلابة والقوة، والليونة، والتلاصق، والعناق، والتشابك، والحنين.

مارون الحكيم في موضع الفعل الفني في النحت كما الرسم في تجريب دائم ودائم الحركة والدينامية حول المجال الحيوي الذي هو منزله، الذي حوله إلى فعل ونشاط. يراكم أعماله ويلاحظ فيها طرائق التعبير المختلفة، إذ لا يتوقف الأمر عند الملامح الخارجية بل في استخدام التمويه والتعبيرية المجردة، القدرة التعبيرية التي لا تتوقف في معنى يأخذ أشكاله المتغايرة ويبلغ ذروته في السنوات الأخيرة. والأعمال تمثل مجتمعة أحد محاور الفن اللبناني المعاصر، وما تحمله من إشارات التجديد على الكلاسيكي الجميل الذي يتنفسه في الميادين والتقنيات والتفاعل مع المادة، الميول الكثيفة التي يجري تحويلها من خشب وحديد وألوان وأصبغة، إلى مقامات وحوارات هي مرتكزات أعماله في العقود الثلاثة الأخيرة. ما جعله فنان خارج التصنيف، متفجرًا ومتأثرًا في آن، في مراحله الفنية المختلفة.

المنحوتة واللوحة

فنان حساس جدًا يطوِّر العلاقة بين المنحوتة واللوحة. كأن لوحاته غنية لدرجة، وهي تستوعب على سطح اللوحة كامل أشكالها وتنامي التعبير والتمثيل في تطويع المادة وتبسيطها بشفافية. وكأن منحوتاته لوحات في انعكاسات الضوء في أنواع مختلفة من المعادن، وفي مدّ المنحوتة بحياة فاعلة جمالية وبمستويات من التعبير والتجريد والتصوير وتقنيات توفق بين أبعاد مختلفة. منحوتة تصير جسدًا ولوحة، والكتل اللونية في اللوحة تصير جسدًا.

أعماله الجديدة اختبار لتفاعل المواد والتقنيات بين الرسم والنحت وبين لحظات وانفعالات وثنائيات متحاورة في طبيعة المواد، ولكل مادة طبيعية مغايرة ورموز وحدود من الأزمنة والفعل الفني، أو الجراحة الفنية، ما يقوم على توازن دقيق في الحركة والاشتقاقات النفسية والعاطفية.

كأنه يعمَد إلى التمثيل من خلال مواجهته اللوحة مع الأخرى والمنحوتة مع الأخرى والمنحوتة مع اللوحة.

خارج التصنيف

مارون الحكيم فنان غير محدد ومؤطر بأسلوب، يحلّل وسائله الخاصة في طريقة عمله وفي تنظيم مدهش لمفهومية فنية تتحرك جيدًا من دون تراتبيات في الأعمال لدرجة تميّز الأداء بين الرسم والنحت. كأن تحوّل في الحالة الجديدة إلى منطقة جديدة من الأشياء والمقامات بين غرائز بدائية وأسطورية، وأصوات متلاصقة، ومشهديات وأفكار وأحاسيس واشعار معينة، داخل أحشاء المنحوتة أو اللوحة، والحرارة والبرودة، والإيروتيكية، العاشق الخيالي (حين يلتقي الرسم والنحت في حميمية)، يراكم شخصياته على أرصفة الانتظار لأشياء ما، وعلى شكل خيالات، كأنها خيالات الظل على الصخور البرية التي تزهر أشواكًا عاشقة، وحسرات وخلجات تهرب مع الشموس والثقوب والجروحات. كأن الأرض كلّها ناسًا وترابًا ونورًا فلسفيًا ومسيحيًا، نور الغفران في قامات العاشقين وعلى أعتاب الوحدة العاشقة.

اساليب

عنده الأساليب عديدة تعبيرية وشخصية وتجريدية، والألوان هي نوع من التعمق الشعري الذي يضج بالأحاسيس، واللوحة أو المنحوتة في غنائية عميقة.. غنائية متحركة، وبدلالات حسيّة، عند المشاهد، من منحوتة إلى أخرى، ومن قارىء إلى آخر. وهي قراءة فنية متغايرة تخرج من وراء هذا الكم من الأعمال وما توحيه من اندفاعات وتدفقات، في اللون والحركة واللون والمادة. اندفاعات اللون والتشكيل والأسلوبية، والجسد واللغة، الجسد وإيحاءاته في وحدة تأليف وبنية فنية متماسكة، تخرج عند مارون الحكيم من حالة بصرية، أو تجريدية، أو صوفية.

فضاء تشكيلي يتجاوز الانطباعية السلبية في التعامل مع الأشكال والمواد والطبيعة الصامتة إلى كل الكلام، من الصمت إلى كل الكلام. تأليف خلفه الصراخ وحرارة اللون وحرارة الجسد وحرارة الحواس.

والتأليف هو الحرية من كل ما يصنع لوحة أو منحوتة أو هيئة غامضة في أعمال متآلفة على اختلافاتها المفردانية.

يعاني مارون الحكيم من رحلة صعود الضوء، يعالج عطب الأشياء، الأرواح، انفجارها، نشورها، كأنه مقيم في محبسه، أسير حواراته الداخلية، ليله ونهاره في تضخيم لاسم مشترك هو السماء. تضخيم شكل العرض في اسلوب الفنانين الذي يملكون جزءًا حيويًا من اللوحة والمنحوتة المرثية. ويرفع عينيه إلى ما هو أبعد، إلى العابر الفني الذي يتسلى ويتسلى بعالم آخر – أكثر احتمالاً مشيّدًا طبيعة أخرى أكثر شفافية في المنحوتة، حيث يلتجيء الهواء خاليًا من المخاوف الإنسانية.

يقظان التقي

جريدة المستقبل

30 ايار 2018